هيا غائباً عني وفي القلب عرشه أما آن أن يحظى بوجهك ناظري

وقد ينزل البعيد منزلة القريب، وعندئذ ينادى بالهمزة وأي إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن لأنه لا يغيب عن البال أصلاً كقول أبي تمام الطائي[1]:

أما لك ان الحزن أحلام نائم ومهما يدم فالوجه ليس بدائم

وقد ينادى القريب الداني الذي يراه ويسمعه آناء الليل وأطراف النهار بأداة لا ينادى بها إلا البعيد مثل «يا» إشارة إلى أن هذا الذي يناديه عالي الهمة، عظيم الشأن، بينه وبين مناديه عوالم شاسعة من المستحيل أن يقترب منها أو يكون فيها كما يخاطب أبو القاسم السهيلي[2] على هذه الصورة:

يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكي والمفزع

المرجّى للشدائد، والذي إيه المشتكى والمفزع هو الله، وهو قريب بل هو مع الانسان أنّى كان، ولكن أدب الخطاب دعا الشاعر أن يلتزم حدود الضراعة والأدب والخلق الرفيع فناداه بتلك الأداة.

وينزل القريب منزلة البعيد لانحطاط درجته مثل قول الفرزدق[3]:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وينزل القريب منزلة البعيد لغفلته وشرود ذهنه كقول أبي العتاهية:

أيا من عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العمر في قيل وقال

وقوله[4]:

أيا من يؤمل طول الحياة وطول الحياة عليه خطر

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، نسخة مصورة عن دار الكتب ١٩٦٣ جـ ٣ ص ٥٨.

(٢) ابن دحية: المطرب في اشعار المغرب ص ٨٥.

(٣) الشيخ أحمد الحملاوي: زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع ط ٢ القاهرة ١٩١٥ ص ٥٤.

(٤) أبو العتاهية (أبو اسحق اسماعيل بن القاسم) ديوانه، دار صادر ودار بيروت ١٩٦٤ ص ١٨٨.